يوم المشقر "الصفقة"

أحد أيَّام الغدر الفارسي بالعرب قبل الإسلام

من أهم الأيام التي تغنت بها العرب في الجاهلية يوم "المشــقر" أو كما يطلق عليه أيضًا يوم "الصفقة"، وامتدَّت أهميــة هذا اليوم إلى تاريخ صدر الإسلام؛ نظرًا لأهميته عســكريًّا وأدبيًّا في تاريخ العرب قبل الإسلام.

سُــميَّ يوم "المشقر" نسبةً إلى حصن " المُشَــقَّر " المعروف بقرية القارة بالأحساء، أحد أهم الحصون في شــرق الجزيرة العربية، وهو مــن الحصون التي اندثرت آثارها. ومما يُروى أن تســميته بالمُشَــقَّر لنوع الرمال التي استخدمت في طلائه، التي تتسم بالميل إلى الاحمرار. كما أنه شمي بيوم الصفقة، بسبب صفق الباب، حيث أغلق الفرس وأعداؤهم باب الحصن ليغدروا بعرب بني تميم.

ولتسليط الضوء على أحداث يوم المُشَقَّر، لا بُد من العودة إلى حركة قوافل التجارة بين فارس واليمــن، في الوقت الذي كانت فيه اليمــن محتلةً من قِبَل الفُرْس، حيث يحدثنــا عبد الوهاب عزام استنادًا إلى الأصفهاني صاحب كتاب "الأغاني" أن التجارة بين فارس واليمن، ما كان لها أن تعبر دروب الجزيرة العربية بأمــان إلا في خفارة القبائل العربية عبر هذا الطريــق؛ لأن الجنود الفرس لا يعرفون دروب الصحراء، كما أنهم لا يستطيعون التكيف مع البيئة الجغرافية الصعبة. وكان على الفرس دفع رســوم خفارة إجبارية للقبائل العربية على طول الطريق، ويقول عزام: " فإن كســرى بعث إلى عامله باليمن بعيرًا، وكان باذان على الجيش الذي بعثهُ كســرى على اليمن، وكانت العير تحمل نبعًا فكانت تبذرق (أي تســير معها الخفــارة) من المدائن حتى تدفع إلى النعمــان ويبذرقها النعمان بخفراء من ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هوذة بن علــي الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنفية ثم تدفع إلى سعد (من تميم) وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها إلى عمال باذان باليمن".

ويشــير حســين مجيب المصري إلى أن هــذه القوافل كانت تحمل أخشــابًا مهمة لصناعة الأسلحة وخاصةً السهام، لكن الفرس غدروا ببني تميم؛ بعد أن اتفقوا أن يتولى غيرهم خفارة القوافل بدلاً من بني تميم، على أن يأخذ الجدد أموال الجعالة المخصصة لهم.

اعتبــر بنو تميم هذا الأمر إهانة لهــم، واعتداءً على دورهم التاريخي، فقاموا بالاســتيلاء على القوافل وما بها، وأســروا المسؤولين عنها. فأصرَّ كســرى على الانتقام من تميم؛ وبهذا منع كسرى إرســال "الميرة" أي الحبوب إلى بني تميم لمدة ســنة، وكانت هذه السنة من أشد السنوات جدبًا. ولم يكتفِ كســرى بذلك، بل استمر في حيلته من أجل خديعة بني تميم والتنكيل بهم؛ إذ أرسل مناديًا من طرفه إلى بني تميم، ينادي بأن كسرى قد عفا عنهم، وأرسل الميرة إليهم، وأن عليهم التوجه إلى حصن المشقر من أجل استلام الميرة.

وبالفعل توجه الناس إلى الحصن أملاً في الحصول على الميرة بعد أن مروا بســنة من أشدِّ السنوات. وهنا كانت خديعة كسرى وجنوده لبني تميــم؛ إذ قام بصفق باب الحصن (أي إغلاقه)، ولم يســمح بدخولهم إلا فرادى واحدًا بعد واحد، معللاً ذلــك بأنه بغرض تنظيم الدخــول والحصول على الميرة. بينما كان في الحقيقة يقوم الفرس بقتل من يدخل إلى الحصن منهم، دون أن يعلم من في الخارج حقيقة ما يدور في الداخل.

> **خطط كسرى لإقامة مذبحة بين أبناء قبيلة تميم، فدعاهم بحجة العفو وقتلهم فُرادى**

وارتــاب البعض في الأمر، خاصةً مع عدم خروج مــن دخل إلى الحصن. ويقال: إن أحد رجال بني تميم ويدعى الخيبري قام بضرب سلســلة الباب بسيفه، فانفتح الباب، ليكتشف الناس حدوث مذبحة لكل من دخل إلى الحصن. وأنشــد الخيبري شــعرًا في ذلك اليوم- يوم المشقر- وكيف أنقذ أهله من غدر الفرس:

ألا هل أتى قومي على النأي أنني ... حميت ذمــاري يوم باب المشــقر

ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة ... تفــرج منهــا كل بــاب مضمــر

هكذا غــدر الفرس ببني تميم، وكانت مذبحة يوم المشــقر أو يوم الصفقة، أحد أيام العرب قبل الإسلام، شاهدًا جديدًا على خداع الفرس وغدرهم بالعرب.

المراجع:

1) جــواد علــي، المُفصل في تاريخ العــرب قبــل الإسلام، ط4 (بيروت: دار الساقي، 2001).

2) حســين مجيب المصري، صلات بين العرب والفــرس والترك (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001).

3) رئيف خوري، مع العرب في التاريخ والأسطورة (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2019).

4) عبد الخالق الجنبي، هجر وقصباتها الثلاث (بيروت: دار المحجة البيضاء، 2004).

5) عبــد الوهاب عزام، الصلات بين العرب والفــرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012).

6) محمد جاد وآخرون، أيام العــرب في الجاهلية (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1942).

7) هوما كاتوزيان، الفرس: إيران في العصور القديمة والوســطى والحديثة، ترجمة: أحمد حسن المعيني (بيروت: دار جداول، 2014).